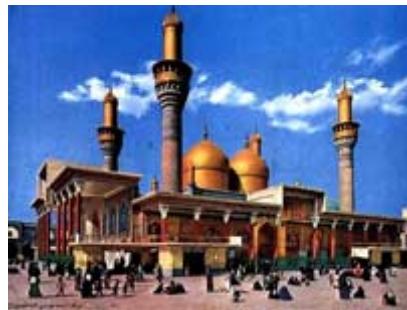


الإمام الكاظم (ع) وتيار الإلحاد

<"xml encoding="UTF-8?>



انتشرت في عصر الإمام موسى بن جعفر الكاظم الكثير من الفرق والتيارات والمذاهب والنحل المنحرفة والضالة، وقد تصدى الإمام الكاظم لها من خلال بيان منهج أهل البيت المستقيم، وتوضيح انحرافات بعض الفرق والمذاهب التي قامت على أساس مخالفة لخط الإسلام الأصيل.

وقد اعتمد الإمام الكاظم في التصدي للتيارات والفرق المنحرفة كالزنادقة والملحدة وغيرهم على مناظرتهم ومحاورتهم بالأساليب العلمية القوية التي ينهرم أمامهم أصحاب الفكر السقير، ويعود بعضهم إلى الحق، كما اتبع الإمام الكاظم الأقناع بأدوات العقل والبديهة، وهو الأمر الذي لا سبيل لإنكاره من قبل أصحاب الأفكار المنحرفة. ومن أهم الفرق والتيارات المنحرفة التي انتشرت في عهد الإمام الكاظم، والتي كان لها أتباع وأنصار تيار الإلحاد.

فقد انتشرت في عهد الإمام موسى الكاظم الحركة الإلحادية، وأخذت تدعو إلى التفسخ والتحلل من الأخلاق والدين، وإنكار الخالق تعالى، أو وجود بعض صفاته الشبوانية أو السلبية، وعدم الإيمان بالأنبياء والرسل والأوصياء، وإنكار المعاد. وأخطر أشكال الإلحاد هو نكران وجود الله تعالى وهي الفكرة التي ترتكز عليها الشيوعية ومختلف أنواع التيارات الملحدة.

وقد تكاثرت الدعوة إلى الإلحاد والزنادقة في العصر العباسى الأول، وتبنى أفكار الإلحاد والانحراف والزنادقة مجموعة من التيارات الملحدة، ومنها:

1 - المانوية:

أصحاب «مانى بن فاتك» الحكيم، الذي ظهر في زمان «سابور بن أردشير» وقتله «بهرام بن هرمز بن سابور» وذلك بعد عيسى ابن مريم أحدث دينًا بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح ولا يقول بنبوة موسى. حكى «محمد بن هارون» المعروف بأبي عيسى الوراق، وكان في الأصل مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم؛ أن الحكيم «مانى» زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين: أحدهما نور، والآخر ظلمة، وأنهما أزليان لم يزالا، ولن يزالا، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم، وزعم أنهما لم يزالا قويين، حساسين، دراكين، سمييعين، بصيرين، وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان. وفي الحيز: متحاذيان تحاذى الشخص والظل 1 .

وقادت المانوية ببث الحركات الإلحادية في العصر العباسى، وكان من أعلامها ابن المقفع، فقد قام بترجمة كتب ماني، وابن ديسان، ومرقيون من الفارسية إلى العربية. كما وضع كتاباً يبشر بالمانوية، ويحمل فيه على المبادئ الإسلامية، وقد افتتحه باسم النور الرحمن الرحيم.

وقال المهدى: ما وجدت كتاب زندقة قط إلا وأصله ابن المقفع 2.

وكانت المانوية من أكثر الأفكار الإلحادية انتشاراً في العصر العباسي الأول، وكان لها دعاة يروجون لها في مقابل الفكر الإسلامي، فبالرغم من ان المانوية تأسست قبل الإسلام بثلاثة قرون، إلا أن وجود أشخاص يدعون لها، وينشرون أفكارها بين المسلمين، ساهم في انتشارها بين البسطاء من الناس.

2 - المزدكية:

أصحاب «مزدك» ومزدك هو الذي ظهر في أيام «قباذ» والد «أبو شروان» ودعا «قباذ» إلى مذهبة، فأجابه، واطلع «أبو شروان» على خزيه وافتئاه، فطلبه فوجده فقتله.

حکی الوراق: أن قول المزدکیة کقول کثیر من المانویة فی الکونین والاصلین؛ إلا أن مزدک کان یقول: إن النور یفعل بالقصد والاختیار، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق، والنور: عالم حساس، والظلم: جاھل أعمى. وأن المزاج کان على الاتفاق والخبط لا بالقصد والاختیار، وكذلك الخلاص إنما یقع بالاتفاق دون الاختیار.

وكان «مزدك» ينهى الناس عن المخالفه والمباغضة، والقتال ولما کان أكثر ذلك إنما یقع بسبب النساء والأموال، أحل النساء وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيهما کاشتراكهما في الماء، والنار، والكلأ.

وحكى عنه: أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة، ومذهبة في الأصول والأركان أنها ثلاثة: الماء، والأرض، والنار. ولما اختلطت حدث عنها مدبر الخير، ومدبر الشر، فما کان من صفوها فهو مدبر الخير، وما کان من كدرها فهو مدبر الشر 3.

وقد انتشرت هذه الفرقة في العصر العباسي الأول، لأنها تدعو للتحلل من الالتزامات الدينية، والقيم الاجتماعية، وتدعوا للتحرر من كل القيود الأخلاقية، وتنكر القيم الدينية، فاعتنقها خلق من الناس للانسياق مع شهواتهم وأهوائهم، والتخلص من التزاماتهم الدينية.

3 - الزرادشتية:

وهم القائلون بأن في عالم الكون أموراً توصف بالخير والبركة، كما أن هناك أموراً توصف بالشرور والبلایا؛ فلا يصح إسناد كلا الصنفين من الأفعال إلى الخالق الحكيم، فيجب الاعتقاد بأن خالق الخير غير خالق الشر. وقد اخترعوا عقيدة خيالية وهي: إن الخير موجود يدعى بـ «يیزان» كما إن خالق الشر موجود يدعى بـ «أهريمن» وكلا الخالقين مخلوق لله سبحانه. وبهذه الفرضية الخيالية، تمکنوا من إقناع أنفسهم بحل مشكلة الشرور والبلایا في صفحة الوجود 4.

ويرى «زرادشت» أن الروح لا تفني، وأنها تنعم أو تشقي بذائقـة الحياة، وأن محنـتها ثلاثة أيام بعد الموت، وبعد ذلك تحملـها الرياح حتى تصل إلى الصراط وتحاكم هناك ثلاثة أيام، والأرواح الخـيرة تمضـي إلى الجنة والأرواح الشرـيرة تسـاق إلى النار.

وقد راجت الزرادشتية في العصر العباسي الأول، واعتنقها خلق من البسطاء المغرر بهم، وقد عملت على محاربة القيم الإسلامية، وتفكيك الروابط الاجتماعية، وتحلل المسلمين من الخلق والآداب الإسلامية.

وعلى أي حال، فإن هذه المبادئ التي انتشرت في العصر العباسي تكشف لنا بوضوح عن الفراغ العقائدي، وضحـالة التـفكـير، وـسيـادةـ الجـهلـ، وـعدـمـ إـحـاطـةـ الـمـسـلـمـينـ بـوـاقـعـ دـيـنـهـمـ الـذـيـ يـدـعـوـ إـلـىـ الـيـقـظـةـ الـفـكـرـيـةـ، وـالـتـحـرـرـ مـنـ جـمـيـعـ روـاسـبـ الجـهـلـ وـالـجـمـودـ 5.

وقد كان للزرادشتية أنصار يدعون لها في العصر العباسي، وهو الأمر الذي جعل بعض الناس يتبعونها رغم وضوح

عدم صحة الأفكار التي تدعو إليها، إلا أنه عادةً إذا ما وجدت أي دعوة أو فرقة أو تيار من يدعو إليها، بحماس ونشاط، وكانت الأجنحة السياسية والاجتماعية مساندة لنموها، فسرعان ما نجد من يتبعها ويسايرها، بل ويدعو إليها.

وكان من أبرز دعوة الإلحاد والزنادقة في العصر العباسي وأشهرهم «يزدان بن باذان» الذي عرف بالكفر والزنادقة. وكان من أعلام الإلحاد: بشار بن برد، الذي تمادي في الدعوة إلى الكفر والإلحاد، وكان يدعو إلى عبادة النار! وكان مصراً على عقيدته حتى قتل بسبها.

وكان من أعلام الإلحاد والزنادقة: صالح بن عبد القدس، وكان من كبار الزنادقة، وقد أمر المهدى بقتله لزنادقته. ومن أعلامهم الحمادون الثلاثة: حماد عجرد، وحماد الراوية، وحماد الزبرقان. ومنهم أيضاً: ابن المقفع، ويونس بن أبي مزوة، ومطیع بن أبياس، وعبدالكريم بن أبي العوجاء، وعلي بن الخليل، ويحيى بن زياد الحارثي.

وقد أشار المترجمون لسيرتهم إلى بدعهم وأضاليلهم التي تدل على كفرهم وزنادقتهم، ومرورهم من الدين. يقول العلامة الشيخ باقر شريف القرشي «رحمه الله»: «عمد هؤلاء الملحدون إلى إفساد المجتمع الإسلامي، وإشاعة الفوضى والتحلل بين المسلمين، كما عدوا إلى تشويه الإسلام، وذلك بافتعال الأخبار الكاذبة التي تحط من كرامة الإسلام، وقد اعترف عبد الكريم بن أبي العوجاء بذلك، فقد صرخ قبل أن ينفذ فيه حكم الإعدام، فقال: «لئن قتلتوني فلقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوب».

و عملوا على إفساد الأدب العربي وتشویهه، وقد قام بذلك خلف الأحمر وحماد الرواية.

ويقول عنه السيد المرتضى: «إن حماد مشهور بالكذب في الرواية، وعمل الشعر وإضافته إلى الشعراء المتقدمين ودسه في أشعارهم، حتى أن كثيراً من الرواية قالوا: قد أفسد حماد الشعر لأنه كان رجلاً يقدر على صنعته، فيدس في شعر كل رجل منهم ما يشاكِل طريقة، فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم». وهكذا استهدفوا إفساد الدين واللغة وسائر مقومات الأمة العربية والإسلامية، ووقف المد الإسلامي من الانتشار في ربوع العالم» 6 .

لكن يجب أن نشير إلى نقطة هامة جداً هنا وهي: إن الاتهام بالزنادقة والكفر والإلحاد لم يكن دائمًا اتهاماً حقيقياً؛ بل كان في بعض الأحيان يستخدم لأهداف سياسية، فقد استخدم بعض حكام بني العباس الاتهام بالزنادقة كوسيلة للقضاء على الخصوم من الهاشميين وغيرهم من المعارضين لحكمهم، لذلك يجب التمييز بدقة بين الزنادقة والملحدة الذين تبنوا هذا الفكر وأولئك الذين ألصقت بهم تهمة الزنادقة للقضاء على الخصوم السياسيين.

مواقف الإمام الكاظم من التيارات الملحدة اتخذ الإمام موسى بن جعفر الكاظم مواقف حازمة تجاه الملحدة والزنادقة، وتبيين فساد معتقداتهم وانحرافاتهم العقائدية والفكرية، وذلك بالمنطق العلمي، واتباع المنهج العلمي في الرد عليهم، وبيان انحرافاتهم، كما كان الإمام الكثير من المواقف في التبرء منهم، ولعنهم، وتحذير المسلمين من التأثر بهم، وأهمية الابتعاد عنهم، وعدم مجالستهم أو مؤاكلتهم أو مناكحتهم؛ حتى لا يتتأثروا بفkerهم المنحرف.

وقد ذكر العلامة الطبرسي في كتابه القيم الاحتجاج، بعض احتجاجات ومناظرات الإمام الكاظم مع الزنادقة والملحدة، والتي بينت زيف وضعف أفكارهم، ورد الشبهات التي كانوا يبثونها بين الناس، وخصوصاً في الحقل العقائدي والكلامي.

وبهذه المواقف الحازمة من التيارات الملحدة دافع الإمام الكاظم عن العقيدة الإسلامية الصحيحة، ورد شبهاتهم

1. الملل والنحل، الشهريستاني، المكتبة العصرية، بيروت، طبع عام 1428 هـ - 2007 م، ج 1، ص 209.
2. موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام موسى بن جعفر، باقر شريف القرشي، دار المعرفة، قم، الطبعة الأولى 1430 هـ - 2009 م، ج 29، ص 129 - 130.
3. الملل والنحل، الشهريستاني، المكتبة العصرية، بيروت، طبع عام 1428 هـ - 2007 م، ج 1، ص 213.
4. الإلهيات، الشيخ جعفر السبحاني، الدار الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى 1409 هـ - 1989 م، ص 401.
5. موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام موسى بن جعفر، باقر شريف القرشي، دار المعرفة، قم، الطبعة الأولى 1430 هـ - 2009 م، ج 29، ص 132.
6. موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام موسى بن جعفر، باقر شريف القرشي، دار المعرفة، قم، الطبعة الأولى 1430 هـ - 2009 م، ج 29، ص 135.
7. المصدر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبدالله يوسف حفظه الله.